حول الرأي العام الكردي

هەژار كامەلا

إن موضوع الرأي العام (Public Opinion) من المواضيع الحيوية المهمة التي تحتل مكانا بارزا من قبل المؤسسات السياسية والاجتماعية والاكاديمية في الوقت الحاضر، واصبحت قوة ضخمة في المجتمع الدولي الحديث والمعاصر نتيجة تطور الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتكنلوجية والثقافية.

إن الرأي العام كظاهرة جمعية لابد ان تحتل مكانه في مقدمة دراسات علم النفس الاجتماعي Social Psycology وحقل السلوك الجمعي Collactive behavuor منه بالذات، وليس معنى هذا ان الرأي العام لايتعلق بعلم السياسة بل يتصل بهذا العلم صلة وثيقة لان تاثير الرأي يشمل مؤسسات الدولة وشكل السلطة ومواقفها وانواعها. (١)

لقد ذهب الكتاب والباحثين في تعريف الرأي العام مذاهب شتى نستطيع من خلال تلك التعاريف ان نعرف الرأي العام بانه: موقف مجموعة من الناس تجاه مشكلة او حادثة معينة في فترة زمنية معينة.

قبل الحديث عن الرأي العام الكردي يطرح سؤال نفسه وهو: هل يوجد رأي عام كردي؟

قبل الاجابة على هذا السؤال، يجب ان نذكر ان اغلبية كتاب ومثقفي كردستان يشككون اصلا في وجود رأي عام كردي بالرغم من ايمانهم بان الشعب مصدر السلطات، يبدو انهم يستندون في رأيهم هذا على اساس عجز وصمت الجماهير الكردستانية ازاء مايحدث لهم من جراء الاقتتال الدموي بين الحزبين المتناحرين الرئيسيين في كردستان (الاتحاد الوطني الكردستاني والحزب الديمقراطي الكردستاني) هذا إضافة الى الاوضاع المعاشية الصعبة وسوء ادارة الاقليم مما تسببت في تعريض مكاسب الشعب الكردي التي ناضل وضحى من اجلها سنوات طويلة الى خطر حقيقي يهدد حاضر ومستقبل الشعب الكردي في كردستان من ناحية ويؤثر على الصراع مع نظام صدام الدكتاتوري.

يبدو صحة توجه كتاب ومثقفي الكرد في اول وهلة ولكن عند تحليل المجتمع الكردي ودراسة تأريخه وتراثه ومناخه النفسي واوضاعه الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية ومن خلال احتكاكه (بالاحرى اصطدامه) بالاوضاع الجديدة التي اعقبت انتفاضة اذار ١٩٩١ وحتى وقتنا الحاضر، نرى عدم صحة ذلك التوجه لان الرأي العام موجود في كل مجتمع وفي ظل نظام دكتاتوري او ديمقراطي وسواء كان الرأي ظاهرا او كامنا، معارضا أومؤيدا او لامباليا ولكن يجب ان لانقيس قوة وتاثير الرأي العام الكردي بما هو موجود في المجتمعات الاوربية او حتى في البلدان المجاورة.

يعتبر الرأي العام مظهرا مباشرا لوجود المجتمع السياسي فالرأي العام يعاصر وجود الجماعات الانسانية او الظاهرة البشرية في صورة مجتمعات، ويرتبط الراي العام - وجودا وعدما - بالوعي السياسي لدى شعب من الشعوب، فينشأ الرأي العام نتيجة نشأة الوعي السياسي لدى الجماهير الذي يساعدها في اعمال الرأي والفكر وابداء وجهات النظر تجاه مايثور من جدل ونقاش حول القضايا العامة التي تمس المصالح الجوهرية للشعب. (٢)

إن المجتمع الكردي كأي مجتمع في العالم يخضع لنفس قواعد علم الاجتماع السياسي مع الاخذ بنظر الاعتبار مستوى تطور المجتمع الكردي الذي عاش قرون عديدة تحت نير الاحتلال الاجنبي مما تسبب في خلق اثار سلبية على نفسية وتكوين الشعب الكردي بالرغم ان كردستان من الناحية الحضارية تعتبر مهد البشرية.

فالانسان يتاثر بالمناخ الحضاري الذي يعيشه وينشأ عليه ويؤثر في تكوينه النفسي والعقلي ويتشرب ما يسوده من اراء وافكار ويستلهم ما يتوارثه من قيم ومعتقدات وعادات. (٣)

ان البيئة الاجتماعية في المجتمع الكردي بقيت على درجة من التحجر والجمود، لاتسمح للفرد الكردي الى استغلال مواهبه ومقدراته الطبيعية وخاصة بين القبائل، فبقيت شخصية الفرد القبلي على درجة من النمو لاتتعداها كي يستطيع الحكام ورؤساء القبائل من استغلال هذه الشخصيات لصالحها، فابقوا النظم السياسية والاقتصادية والعلاقات بين الناس كما هي دون تطوير، ولذلك افتقرت البيئة الاجتماعية في المجتمع الكردي الى الامكانيات والمقومات التي تساعد الفرد الكردي على تنمية شخصيته وترقية سلوكه، فاصبح الكبت والاحباط ملازمة للانسان الكردي، فلا عجب ان ينحرف سلوكه في بعض الاحيان بما يضر المجتمع الكردي العام، مادامت العناصر الطبيعية في النفسية الكردية لم تتهذب بفعل العناصر الاجتماعية الراقية، وذلك لانعدام هذه العناصر الاخيرة لانها لم تتهيأ للانسان الكردي. (٤)

ولذلك لم تتحول البنى الاجتماعية الكردية الى مؤسسات سياسية (٥) و بقيت على شاكلته القديمة مرتبطة بالنظام القبلي او الانظمة الاستعمارية

المحتلة لكردستان.

في ظل تعامل شعبنا مع الانظمة السياسيه الاستبدادية المحتلة والتي منعت الجماهير الكردية من حق المشاركة السياسية في اتخاذ القرارات وممارسة الحريات العامة وقمعت بالقوة وجود رأي عام ظاهر (حقيقي) في كردستان.

كما هو معلوم في ظل المجتمعات ذات النظم التسلطية يخبوا صوت الرأي العام ويتلاشى تأثيره على العمل السياسي نتيجة القهر والكبت وحجب الحريات عن الجماهير وبالتالي يتحول الرأي العام من رأي عام ظاهر الى رأي عام كامن، يتصف بالسلبية والخضوع وعدم القدرة على التعبير عن وجهات نظره تجاه مصالحه الاساسية. (٦)

كما يلعب مستوى التعليم ايضا دوره في ترسيخ القيم والمعتقدات المتوارثة، فكما هو معلوم ان تركيب المجتمع الكردي من حيث درجة تعليمه ضعيفة، حيث تكثر فيه نسبة الامية ويعاني من نقص الكوادر العلمية شانه شان شعوب ودول العالم الثالث، هذا العامل لعب دوره في محدودية وقدرة الرأي العام الكردي على التأثير في مجريات الاحداث.

طبيعة الرأي العام الكردي في المرحلة الراهنة

تتميز طبيعة الرأي العام الكردي في جنوب كردستان خلال فترة الاعوام الخمسة السابقة بانه يعيش في مرحلة التبديل الاجتماعي Social Change.

ويتصف الرأي العام في هذه المرحلة بالتذبذب وعدم الاستقرار وسرعة التغير لاسيما في الفترات القلقة وفترات التحولات الاجتماعية والاقتصادية، حيث يصعب التقاء كافة افراد المجتمع حول مفاهيم اساسية موحدة لاشكال المؤسسات السياسية والاجتماعية (٧)، كما يخضع لعامل الزعامات الفردية قبل كل شيء (٨).

لايخفى على احد ان المجتمع الكردي خلال الفترة الماضية دخل مرحلة جديدة من التحولات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية الكبيرة والمعقدة في آن واحد مما تسبب في تغير كثير من المفاهيم والمعتقدات القديمة واحلال مفاهيم جديدة في بنية ونفسية الشعب الكردي نستطيع ان نجمل هذه التغيرات في النقاط التالية:

اولا:

تحول المجتمع الكردي من وجود سلطة مركزية وقوية المتمثلة بالنظام الصدامي الدكتاتوري الى نظام السلطة الثورية وحكم الميليشيات والتي تتصف بحالة من الفوضى وضعف القانون والنظام، هذا على الرغم من انتخاب برلمان وتشكيل حكومة الاقليم، التي ظلت حكومة حزبية وغير مؤسساتية ولم تتحول الانماط والنظم العشائرية والحزبية الى مؤسسات سياسية وحكومة القانون.

ثانيا:

دخل المجتمع الكردي من حالة الرخاء الاقتصادي (قبل الانتفاضة) الى حالة الكساد والجوع نتيجة لفرض الحصار المزدوج على كردستان (الحصار الدولي على العراق وحصار النظام على كردستان المحررة) هذا فضلا عن سوء ادارة الاقليم وفرض الرسوم الگمركية العالية على السلع والمواد الغذائية من قبل السلطات الكردية.

ثالثا:

ارتبط الرأي العام الكردي بالزعامات والقيادات الفردية وتحديدا في شخصي السيدين (مسعود البارزاني وجلال الطالباني) لان الاحزاب الكردستانية هي عباره عن احزاب اشخاص واقطاب لا احزاب برامج ومؤسسات حاله حال الاحزاب السياسية في العالم الثالث (مع مراعاة بعض الفروق القليلة).

استطاع القائدان فهم نفسية وطبيعة المجتمع الكردي ومعرفة الرأي العام الكردي وتمكنوا من استغلال مشاعر واحتياجات الجماهير المرتبطة بهم فاستطاعوا استقطابهم وتوظيفهم من صراعهم الشخصي والحزبي وإقناعهم بان تحرير كركوك وسنجار يمر عبر قلاچوالان وسرى رەش.. وتكبد شعبنا من جراء تطبيق تلك السياسة خسائر جسيمة في الارواح والامكانيات المادية الكبيرة وتسبب في تشريد عوائل كثيرة من ديارهم ومن نتائج معنوية ونفسية وخيمة على الانسان الكردي، هذا فضلا عن تشوية سمعة القضية الكرديه في المحافل الدولية وعلى الرأي العام العالمي.

رابعا:

دخل وسائل الاعلام المسموعة والمقروءة البيت والشارع الكردي بصورة لم يسبق له مثيل حيث ظهرت عشرات الجرائد والمجلات والنشرات والعديد من الاذاعات والتلفزيونات والوسائل الاعلامية الاخرى، كان له الاثر الكبير على الرأي العام الكردي، باعتبار الاعلام له تأثير كبير على حجم وتوجيه وتعبئة الرأي العام نحو الاهداف المتعددة.

ولكن مع الاسف افرزت السياسة الاعلامية المتبعة في كردستان نتائج سلبية على وظيفة الرأي العام الكردي وذلك باختلاف المصادر الاعلامية ونعني بهما الاعلام الحكومي المتمثل بالحزبين الرئيسين واعلام المعارضة المتمثلة بالاحزاب والمنظمات السياسية الاخرى وعلى الشكل التالي:

١. وجه الحزبين الرئيسين الوسائل الاعلامية المختلفة لخدمة اهدافها الخاصة وابعدت الجماهير الكردستانية عن المصالح الجوهرية وبذلك تأثر الرأي العام كثيرا بتلك السياسة، وخاصة ان الحزبين يتمتعان بنفوذ شعبي كبير في المجتمع الكردي مع ان حجم التأييد يتقلص يوما بعد اخر.

٢. ضعف وعدم فاعلية الاعلام المعارض ويرجع سبب ذلك الى محدودية امكانياتهم الاقتصادية من ناحية والى اتباع سياسة المسايرة والمساومة مع

البارتي والاتحاد والدوران في فلكيهما.

نتيجة على المتغيرات السالف ذكر ها تميز الرأي العام الكردي في الفترة الماضية بالتذبذب وعدم الاستقرار وسرعة التغير وفي احيان اخرى باللامبالاة، ولكن هذا لايعني ان الرأي العام الكردي يبقى على هذا المنوال ولا يطرأ عليه تغير بل ان مرحلة التحول مؤقتة وحالما تنتهي دورته الطبيعية وتتهيأ الظروف الموضوعية، يتغير الرأي العام الساكن والكامن في نفوس جماهير كردستان المظلومة الى رأي عام موجود وظاهر للعيان ويعبر عن نفسه واهدافه بالشكل الطبيعي والمطلوب والذي يمكن ان يتحول الى عمل كبير وجبار كالثورة...

وعلى الجميع ان يعوا هذه الحقيقة.

فالاحزاب والجمعيات السياسية الكردية وخاصة الحزبان الرئيسيان مطالبان اليوم قبل اي وقت اخر الاهتمام بالرأي العام الكردي والجماهير الكردستانية واشراكه في صنع القرار السياسي وفي إدارة شؤون الحكم والمؤسسات الرسمية للخروج من المأزق الكبير التي تواجه ازمة الحكم في كردستان والذي يأتي في مقدمته انهاء الوضع القائم قبل فوات الاوان فالتاريخ لايرحم.

١-٢-١٩٩٦

اربيل

الهوامش والمصادر:

١. سعدالدين خضر - الرأي العام وقوى التحريك - الطبعة الاولى - الموصل ١٩٦٨ - ص١٣.

٢. مجموعة مؤلفين - الرأي العام - بغداد ١٩٨٨ - ص١٠٤.

٣. سعدالدين خضر - المصدر السابق - ص٢٤-٢٥.

٤. هاشم طه عقراوي - الاسس النفسية والاجتماعية للقبائل الكردية - مطبعة بلديه كركوك - ١٩٧٣ - ص١١.

٥. يقصد بالمؤسسة السياسية اقامة مؤسسات فاعلة وقادرة على اكتساب قدر يعتد به من القيمة والاستقرار وبالتالي اكتساب شرعية ذاتية. ويمثل ذلك جوهر عملية بناء الدولة في رأي كثير من علماء السياسة. بل ان احد الفروق الجوهرية بين المجتمع المتقدم سياسيا والمجتمع المتخلف سياسيا ان الاول تحكمه مؤسسات مستقرة بينما الثاني يحكمه اشخاص. للمزيد من التفاصيل راجع:

د. كمال المنوفي - نظريات النظم السياسية - الطبعة الاولى - الكويت ١٩٨٥.

٦. مجموعة مؤلفين - المصدر السابق - ص١٦

٧. سعدالدين خضر - المصدر السابق - ص٣٨-٣٩.

٨. د. هشام الشاوي - مقدمة في علم السياسة - دار الكتب - الموصل - ١٩٨١ - ص١٩٠.